المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد:

فإن الله - سبحانه - أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

فلما أكمل الله به دينه، وأتم به نعمته على عباده، استأثر به، ونقله إليه، تاركًا أمته على المحجة البيضاء، والطريق الواضحة الغراء.

وقد سار صحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان، على نهج نبيهم؛ فكانوا أصدقَ الأمة إيمانًا، وأعمَقها علمًا، وأدقها فهمًا.

ثم سلك هذا المسلك الرشيد الموفقون من هذه الأمة، زاهدين في التعصب للآراء، آخذين بالحجة والاستدلال.

وهكذا بقيت هذه الشريعة المباركة، وستبقى، بإذن الله، لاحبةً واضحةً، ثابتةً ثبوتَ سنن الله ـ تعالى ـ في الكون، لا تتغير ثوابتها، لكنَّ واقع الإنسان هو المتغير بين الضرورة، والحاجة، والتوسع، والرفاهية، ثم لما كثرت الأحداث وتتابعت؛ وكل حدث لا بد له من حكم شرعي عند الشارع الحكيم، لاحظ علماء الأمة أن هذه الأحكام الشرعية مستمدة، ومستندة على دليل من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس، أو غيرها من الأدلة.

وتأملوا في طريقة الاستدلال على الأحكام من الأدلة، فوجدوا إمكانية إرجاعها إلى قواعد، وقضايا، ومبادئ كلية، يمكن ضبطها، فدونوا هذه القواعد، وبينوا طرق الاستنباط وشرائطه، وسموا هذا كله علم أصول الفقه، وأصبح فيما بعد علمًا لا يستغني عنه من رام الاستنباط من نصوص الشريعة.

هذا ولما كان تحقيق ونشر تراث علماء الإسلام السابقين يعتبر جسرًا يصل الخلف بالسلف، ويعد عملًا جليلًا حقيقًا ببذل الجهد والوقت الثمين، في سبيل تحقيقه، عزمت على البحث عن مخطوط في علم أصول الفقه، فكتب الله ـ سبحانه ـ أن وقفت على مخطوط بعنوان (**إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع**)، للعالم المحقق محمد محفوظ بن عبدالله التَّرمسي (ت ١٣٣٨هـ).

وبعد قراءة الكتاب، والتمعن فيه وجدته جديرًا بالدراسة والتحقيق؛ لأسباب أهمها:

أولًا : الرغبة في خدمة هذا العلم العظيم، والعيش بين كتبه، ومن ثم التضلع منه فهما وعلمًا.

ثانيًا : تميُّز هذا الشرح بكونه حاويًا لخلاصة ما كُتب حول متن جمع الجوامع؛ من شروح وحواشٍ، وتقريرات، مع التحقيق، والانتقاء.

ثالثًا : أن هذا الكتاب شرح لنظم متن جمع الجوامع الذي يعد من أشهر المختصرات الأصولية حيث جمعه مؤلفه من زهاء مئة مصنف، فجمع في طياته غالب المسائل الأصولية، مع ما أضافه له ناظمه من زيادات. فبان أن في تحقيق هذا

الشرح خدمة لثلاثة كتب: الأصل «جمع الجوامع»، ونظمه «لمع اللوامع»، وشرح النظم «إسعاف المطالع».

رابعًا: أن مؤلفه عالم متفنن عُرف بكثرة نتاجه، ومع ذلك لم ينل حقه من الدراسة؛ حيث إن أكثر مؤلفاته لا زالت مخطوطة.

خامسًا: تعطي دراسة هذا الكتاب صورة واضحة للفكر الأصولي في القرن المنصرم؛ وذلك في شخص عَلَم من أعلام الأصول في مكة ـ شرفها الله.

لهذه الأسباب وغيرها عقدتُ العزم، بعد الاستعانة به ـ سبحانه ـ على تحقيق ودراسة جزء من الكتاب، من بداية المخطوط إلى نهاية مباحث الحروف.

هذا وقد وضعت لعملي في هذا البحث خطة، سرت على وفقها، ومنهجًا سلكته في تنفيذها؛ أما الخطة، فقد قسمت البحث إلى قسمين؛ أحدهما للدراسة، والثاني للتحقيق وقد تكوَّن قسم الدراسة من أربعة فصول؛ هي:

أولًا : قسم الدراسة.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: دراسة مختصرة عن ابن السبكي وكتابه جمع الجوامع.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة ابن السبكي. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب السادس: مؤلفاته.

المبحث الثاني : نبذة عن كتاب «جمع الجوامع»، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب وتوثيق نسبته لابن السبكي.

المطلب الثاني: منهج الكتاب.

المطلب الثالث: خدمات العلماء للكتاب.

الفصل الثاني: دراسة عن الأشموني، ونظمه لجمع الجوامع. وفيه مبحثان:

المبحث الأول : ترجمة الأشموني، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المطلب الخامس: مكانته العلمية.

المطلب السادس: وفاته.

المطلب السابع: مؤلفاته.

المبحث الثاني : نبذة عن نظمه لجمع الجوامع، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق اسم النظم، وتوثيق نسبته للأشموني.

المطلب الثاني: شروح النظم.

المطلب الثالث: مكانة النظم.

المطلب الرابع: ما تميز به عن نظم السيوطي «الكوكب الساطع».

المطلب الخامس: نماذج لزيادات الناظم على متن «جمع الجوامع».

الفصل الثالث: دراسة عن الترمسي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر المؤلِّف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: ترجمة الترمسي، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وولادته.

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه.

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

المطلب السادس: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المطلب السابع: وفاته.

المطلب الثامن: مؤلفاته.

الفصل الرابع: دراسة عن كتابه «إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع» وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب، وتوثيق نسبته للمؤلِّف.

المطلب الثاني: منهج الشارح في الكتاب.

المطلب الثالث: مصادر الكتاب.

المطلب الرابع: المآخذ على الكتاب.

المطلب الخامس: مقارنة بينه وبين شرح الأشموني.

المطلب السادس: وصف نسخ مخطوطات الكتاب.

وأما المنهج، فقد كان على النحو التالي:

سرتُ في تحقيق هذا الكتاب وفق الخطة المعتمدة من مجلس الكلية لتحقيق التراث، وزدت أشياء اقتضتها طبيعة الكتاب ويمكن تلخيص المنهج في النقاط التالية:

١- تحقيق الكتاب على طريقة النص المختار؛ وذلك بإثبات ما يستقيم به المعنى في الصلب، وإثبات الفروق بين النسخ في الهامش.

٢- ضبطتُ النظم بالشكلِ، ووضعت كلمات النظم التي في الشرح بين قوسين ( )، مضبوطةً كذلك بالشكل.

٣- قارنت بين نسخة النظم التي اعتمدها الترمسي في شرحه، والنسخة التي شرحها الأشموني، وإن كان ثم فروقات أثبتها في الهامش.

٤- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٥- خرجت الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث موجودًا في الصحيحين اقتصرت عليهما، وإن كان في غيرهما ذكرتُ منْ أخرجه مع بيان درجته صحةً أو ضعفًا.

٦- خرجت الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.

٧- عزوت الأبيات الشعرية إلى قائلها إن كان معروفًا، وذكرت المصادر التي يوجد فيها البيت.

٨- ترجمت لجميع الأعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب، ولم استثنِ إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٩- عزو الأمثال إلى مصادرها.

١٠- التعليق على ما يحتاج إلى توضيح، كشرح المفردات الغريبة، والمسائل، والمصطلحات الغامضة، أو بيان وهم وقع فيه المؤلف، مع الحرص على عدم إثقال الهوامش بالتعليقات.

١١- توثيق المسائل الأصولية؛ وذلك بذكر أماكنها؛ في أهم مصادر كتب

الأصول.

١٢- وثقت الأقوال التي ذكرها المؤلف، سواء صرَّح بنسبة القول إلى قائله، أم أبهم ولم ينسبه، وذلك بعد التحري والتحقق، ولم يفتني من ذلك بفضل الله إلا النزر اليسير.

١٣- وثقت النقول التي ذكرها المؤلِّف، فإن كان المنقول نصًّا، ومصرَّحًا بصاحبه، جعلته بين علامتي تنصيص « »، أما النقول التي لم ينسبها المؤلف، بل لم يشر فيها إلى أنها نقول، وهي كثيرة في الكتاب، فإني اجتهدت في نسبتها، ومنهجي في ذلك أنني أتتبع الكلام حتى نهايته، ثم أضع رقمًا، وأذكر المصدر في الهامش.

١٤. وضعت عناوين جانبية لمسائل الكتاب.

١٥- كتبت النص بالرسم الإملائي المعاصر.

١٦- وضعت فهارس عامة في آخر الرسالة؛ وتشمل:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث النبوية.

٣ - فهرس الآثار عن الصحابة والتابعين

٤ - فهرس الحدود والمصطلحات، والألفاظ الغريبة.

٥ - فهرس الأبيات الشعرية.

٦ - فهرس الأمثال.

٧ - فهرس الأعلام.

٨ - فهرس الكتب الواردة في النص.

٩ - فهرس الفرق والطوائف.

١٠ - فهرس المصادر والمراجع.

١١ - فهرس الموضوعات.

وختامًا، فيعلم الله أني قد بذلتُ غاية جهدي في سبيل خدمة الكتاب، فأسأل الله العليَّ العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن أكون قد وفقت في ذلك، والله المرجو ـ سبحانه ـ أن يتجاوز عنا إن نسينا أو أخطأنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *